المحاضرة الثالثة عشر: تطورات معاصرة في نظريات التنمية وورش تطبيقية

التطورات المعاصرة في نظريات التنمية: من النموذج الخطي إلى الفسيفساء الإنساني المتعدد الأبعاد

تشريح فكرة التقدم

تُمثل نظريات التنمية حواراً فلسفياً مستمراً بشأن مفهوم "التقدم" الإنساني، وهي تعكس التحولات الجوهرية في فهمنا للعلاقة بين الاقتصاد والمجتمع والطبيعة والثقافة. لم تعد التنمية مجرد عملية تقنية لتعظيم الناتج المحلي الإجمالي، بل تحولت إلى مشروع معقد يرتبط بأسئلة العدالة التاريخية، والاستدامة الكوكبية، والهوية الثقافية، والكرامة الإنسانية. إن الرحلة من النظرية الكلاسيكية للتحديث إلى المشهد النظري الحالي، الذي يشبه فسيفساءً من المقاربات النقدية والبديلة والتكاملية، ليست مجرد تطور أكاديمي، بل هي سردية لفهم أعمق لتحديات الوجود البشري في عالم متشابك ومتناقض. تعكس هذه الرحلة انتقالاً من النظرة الأحادية البسيطة إلى الاعتراف بتعقيد الظاهرة التنموية وتعدد أبعادها، حيث لم يعد ممكناً فصل البعد الاقتصادي عن الاجتماعي، أو البيئي عن الثقافي، أو المحلي عن العالمي[1].

.1من النظريات الكلاسيكية إلى المعاصرة: تحول في الباراديغم

تشكل نظرية التحديث (Modernization Theory) التي بلورها علماء مثل والت روستو (Walt W. Rostow)في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، النموذج المؤسس للتفكير التنموي الكلاسيكي. افترض روستو في كتابه المؤثر "مراحل النمو الاقتصادي: بيان غير شيوعي" أن جميع المجتمعات تمر عبر خمس مراحل حتمية وخطية: المجتمع التقليدي، وظروف الانطلاق المسبقة، والانطلاق (Take-off)، والدفع نحو النضج، وعصر الاستهلاك الجماعي المرتفع. كانت الفرضية المركزية هي أن التخلف يمثل مرحلة أولية، وأن التنمية تعني بالضرورة السير على الدرب الذي سلكه الغرب الصناعي، عبر نقل التكنولوجيا ورأس المال والقيم "العقلانية" والبيروقراطية الحديثة. كان التركيز منصباً بشكل شبه حصري على النمو الاقتصادي المقاس بمعدلات الناتج القومي الإجمالي، باعتباره المحرك الأساسي الذي سيقود تلقائياً إلى تحسينات في مجالات أخرى مثل التعليم والصحة[2].

غير أن فشو التنمية في تحقيق الازدهار المتكافئ في العديد من دول العالم الثالث، واستمرار التفاوت بين الشمال والجنوب، فضلاً عن الطابع الاستعماري الجديد لبعض سياسات المساعدات والاستثمار، أدى إلى ولادة نظريات نقدية. جاءت نظرية التبعية (Dependency Theory) من قلب أمريكا اللاتينية، عبر مفكرين مثل فيرناندو إنريكي كاردوسو (Fernando Henrique Cardoso) وأندريه غوندر فرانك (Andre Gunder Frank)، لتعكس هذا الاحتجاج. لقد قلب هؤلاء المنظرون معادلة التحديث رأساً على عقب، حيث رأوا أن "التخلف" ليس مرحلة أولية، بل هو نتيجة مباشرة وضرورية لـ "التطور" في المراكز الرأسمالية. فمن خلال العلاقات التجارية غير المتكافئة، واستخراج الفائض الاقتصادي، وسيطرة

[1] Sen, Amartya. *Development as Freedom*. New York: Alfred A. Knopf, 1999.

[2] Rostow, Walt W. *The Stages of Economic Growth: A Non-Communist Manifesto*. Cambridge: Cambridge University Press, 1960.

الشركات متعددة الجنسيات، يتم إدامة وضع تبعي للدول الطرفية (Periphery) لصالح الدول المركزية (Core)، مما يحول دون تنميتها المستقلة ويشوه هياكلها الاقتصادية[3].

ثم جاء إيمانويل والرشتاين (Immanuel Wallerstein) ليطور هذا النقد عبر "نظرية النظام العالمي " (World-Systems Theory)، مقدماً وحدة تحليل أوسع هي "النظام العالمي" التاريخي الذي تشكل منذ القرن السادس عشر. يرى والرشتاين أن النظام الرأسمالي العالمي ذو بنية هرمية ثلاثية (مركز، شبه أطراف، أطراف) يتم من خلالها تدفق الثروة من الأطراف إلى المركز. إن موقع الدولة في هذا الهرم ليس ثابتاً، لكن ديناميكية النظام ككل مصممة للحفاظ على التباين وإعادة إنتاجه. تقدم هذه النظرية منظوراً تاريخياً طويل الأمد (longue durée) لفهم عدم المساواة العالمية، مؤكدة أن التنمية والتخلف وجهان لعملة واحدة هي الرأسمالية العالمية[4].

.2التحول نحو التنمية الإنسانية المستدامة: توسيع دائرة الاهتمام

إن أهم تحول مفهومي في أواخر القرن العشرين هو الانتقال من التنمية كـ "نمو اقتصادي" إلى التنمية كـ "توسيع للخيارات الإنسانية". تجسد هذا التحول في "مفهوم التنمية البشرية" الذي أطلقه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام 1990، مستنداً بشكل رئيسي إلى أعمال الاقتصادي الحائز على جائزة نوبل، أمارتيا سن. يرى سن أن الهدف الحقيقي للتنمية هو توسيع الحريات الحقيقية التي يتمتع بها الناس ليعيشوا الحياة التي يقدرونها. هذه "الحريات" أو "القدرات (Capabilities) "تشمل القدرة على العيش حياة طويلة وصحية، والحصول على المعرفة، والتمتع بمستوى لائق من المعيشة، والمشاركة في الحياة المجتمعية والسياسية. وهكذا، أصبحت مؤشرات مثل متوسط العمر المتوقع، ومعدل الإلمام بالقراءة والكتابة، ونسبة القيد في التعليم، إلى جانب الدخل، هي المكونات الأساسية لمؤشر التنمية البشرية .(HDI) لقد حوّل هذا المنظور قضايا الصحة والتعليم والمساواة بين الجنسين من مجرد أدوات لتحقيق النمو إلى أهداف تنموية جوهرية بحد ذاتها، مركزاً على رفاه الإنسان وكرامته[5].

بالتوازي مع صعود منظور التنمية البشرية، كان هناك تبلور متزايد للقلق البيئي العالمي. جاء تقرير "حدود النمو" لنادي روما عام 1972 كإنذار مبكر، لكن التأسيس المؤسسي الأقوى جاء مع تقرير برونتلاند "مستقبلنا المشترك" (1987)، الذي عرّف التنمية المستدامة بأنها "التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة". لقد دمج هذا التعريف بشكل لا ينفصم بين ثلاثة أبعاد: النمو الاقتصادي، والشمول الاجتماعي، والحفاظ على البيئة. لم يعد النمو غاية في حد ذاته، بل يجب أن يكون شاملاً (يصل منافعه للجميع) ومستداماً بيئياً (لا يستنزف الموارد الطبيعية أو يلوث البيئة

---

[3] Frank, Andre Gunder. *Capitalism and Underdevelopment in Latin America: Historical Studies of Chile and Brazil*. New York: Monthly Review Press, 1967.

[4] Wallerstein, Immanuel. *World-Systems Analysis: An Introduction*. Durham: Duke University Press, 2004.

[5] United Nations Development Programme (UNDP). *Human Development Report 1990: Concept and Measurement of Human Development*. New York: Oxford University Press, 1990.

بما يتجاوز قدرتها على التحمل). أصبحت التنمية المستدامة إطاراً شاملاً يهدف إلى تحقيق التوازن بين رفاه الإنسان وسلامة النظام البيئي الكوكبي[6].

3.التنمية المستدامة والأطر التطبيقية العالمية

تعد "أهداف التنمية المستدامة (SDGs) "التي أطلقتها الأمم المتحدة عام 2015 خير تجسيد عملي وتطبيقي لهذا المنظور التكاملي المعاصر. فهي تشكل إطاراً شاملاً مكوناً من 17 هدفاً و169 غاية، تغطي طيفاً هائلاً من القضايا المترابطة، من القضاء على الفقر والجوع (الهدفان 1 و2) إلى الصحة الجيدة والتعليم الجيد (3 و4)، ومن المساواة بين الجنسين (5) إلى العمل اللائق ونمو الاقتصاد (8)، ومن الحد من أوجه عدم المساواة (10) إلى العمل المناخي (13) والحياة تحت الماء وفوق البر (14 و15)، وصولاً إلى السلام والعدالة والمؤسسات القوية (16) وعقد الشراكات لتحقيق الأهداف (17). ما يميز SDGs هو طبيعتها الشاملة والمترابطة والمتكاملة، حيث لا يمكن تحقيق هدف في معزل عن الآخرين. كما أنها عالمية التطبيق، ملزمة للدول النامية والمتقدمة على حد سواء، معترفةً بالمسؤوليات المشتركة ولكن المتباينة[7].

لقد استلزم هذا الإطار المعقد تطوراً هائلاً في أدوات القياس والمقاييس التنموية. فبالإضافة إلى المؤشرات التقليدية والنقدية مثل مؤشر التنمية البشرية، ظهرت مجموعة من المؤشرات المركبة والمواضيعية لرصد التقدم نحو SDGs. تشمل هذه المؤشرات الحديثة مقاييس لعدم المساواة داخل الدول (مؤشر جيني، مؤشر التنمية البشرية المعدل حسب عدم المساواة)، ومقاييس الاستدامة البيئية (البصمة البيئية، مؤشر الأداء البيئي(EPI ، ومقاييس الرفاه الشخصي والسعادة (مؤشر السعادة العالمي)، ومقاييس الفقر متعدد الأبعاد الذي لا يقتصر على الدخل بل يشمل الحرمان في الصحة والتعليم ومستوى المعيشة. أصبحت البيانات الضخمة وتحليلاتها، والاستشعار عن بُعد، والأقمار الصناعية، أدوات حيوية لجمع وتحليل هذه المؤشرات المعقدة والمترابطة[8].

4.الاتجاهات المعاصرة في الفكر التنموي

أ. المقاربات التاريخية الموحدة :(Unified Growth Theory) يمثل العمل الرائد لعالم الاقتصاد أورن غالور (Omer Galor) في "نظرية النمو الموحد" محاولة طموحة لتقديم إطار نظري يربط بين التنمية الاقتصادية عبر التاريخ البشري الطويل جداً – من العصر المالي (Malthusian) إلى عصر النمو المستدام. تبحث النظرية في كيف أمكن للبشرية الخروج من فخ المالتوسية (حيث يؤدي أي نمو في الدخل إلى نمو سكاني يلتهمه) إلى نظام النمو الحديث. يركز الإطار على التفاعل الحاسم بين التغير التكنولوجي، والتغير الديموغرافي (الانتقال الديموغرافي من معدلات مواليد ووفيات عالية إلى منخفضة)، واستثمار رأس المال البشري (التعليم والمهارات). تكمن الفكرة المركزية في أن التقدم التكنولوجي زاد من العائد المتوقع على التعليم، مما حفز الأسر على الاستثمار أكثر في تعليم أطفالها (نوعية النسل) على حساب إنجاب عدد كبير منهم (كمية النسل). هذا التحول الديموغرافي-التعليمي هو الذي سمح بتراكم رأس المال

---

[6] World Commission on Environment and Development (WCED). *Our Common Future*. Oxford: Oxford University Press, 1987.

[7] United Nations. *Transforming our world: the 2030 Agenda for Sustainable Development*. A/RES/70/1, 2015.

[8] Sachs, Jeffrey, et al. *SDG Index and Dashboards Report 2022*. New York: Bertelsmann Stiftung and Sustainable Development Solutions Network (SDSN), 2022.

البشري واستمرار الابتكار، مما أدى إلى النمو المستدام. تقدم هذه النظرية رؤية تاريخية عميقة تربط بين عمليات تبدو منفصلة مثل الثورة الصناعية والانتقال الديموغرافي وصعود أنظمة التعليم العام[9].

ب. المنظورات الاجتماعية والثقافية والرقمية :يشهد الفكر التنموي المعاصر عودة قوية للاعتبارات الاجتماعية والثقافية التي طالما أهملها النموذج الاقتصادي الصرف. لم يعد "رأس المال البشري" يُرى فقط كمجموعة من المهارات القابلة للقياس، بل ككائن اجتماعي منغرس في شبكات من العلاقات والثقة والمعايير المشتركة. يأتي مفهوم "رأس المال الاجتماعي(Social Capital) "، كما طوره روبرت بوتنام (Robert Putnam)وفرانسيس فوكوياما(Francis Fukuyama) ، ليشدد على أهمية الشبكات والثقة والتعاون في تسهيل العمل الجماعي، وخفض تكاليف المعاملات، وتمكين المجتمعات من حل مشاكلها بشكل أكثر فعالية. تلعب المؤسسات الاجتماعية غير الرسمية، والهويات الجماعية، والشعور بالانتماء، دوراً محورياً في تحديد مسارات التنمية ونتائجها[10].

في هذا السياق، يبرز أيضاً مفهوم "الابتكار الاجتماعي (Social Innovation) "كقوة دافعة للتنمية. يشير الابتكار الاجتماعي إلى العمليات والحلول الجديدة (المنتجات، الخدمات، النماذج، الأسواق) التي تهدف إلى تلبية الاحتياجات الاجتماعية بشكل أكثر فعالية من الحلول القائمة، وتؤدي في نفس الوقت إلى تقوية العلاقات الاجتماعية وخلق تعاون جديد. إنه يعترف بأن حل التحديات المعقدة مثل الفقر أو الاستبعاد لا يأتي دائماً من الأعلى (من الدولة) أو من السوق التجاري الخالص، بل يمكن أن ينبثق من المجتمع المدني، والتعاونيات، والمشاريع الاجتماعية التي تدمج القيمة الاجتماعية مع الاستدامة المالية[11].

ولا يمكن فهم التحولات التنموية المعاصرة دون استيعاب أثر الثورة الرقمية والبيانات. لقد أدى انتشار الهواتف المحمولة والإنترنت والبيانات الضخمة إلى إعادة صياغة استراتيجيات التنمية في مجالات مثل الشمول المالي (المدفوعات والتحويلات الرقمية)، والرعاية الصحية عن بُعد(Telemedicine) ، والتعليم الإلكتروني، والزراعة الذكية مناخياً، والشفافية والحوكمة (منصات البيانات المفتوحة، ومكافحة الفساد). ومع ذلك، يحمل هذا التحول تحديات جديدة عميقة تتعلق بـ "الفجوة الرقمية"، وخصوصية البيانات، وتحيز الخوارزميات، واستقطاب سوق العمل، مما يتطلب تطوير "مقاييس الاستدامة الرقمية" لضمان أن تكون التكنولوجيا قوة للتنمية الشاملة وليس مصدراً جديداً للتفاوت[12].

ج. نقد المنهجيات الغربية والدعوة إلى السياقات المحلية :يواجه الفكر التنموي السائد، بجذوره الغربية التحديثية، انتقادات متزايدة من منظور ما بعد الاستعمار والدراسات الثقافية. يرى نقاد مثل آرتيس إسكوبار (Arturo Escobar)أن "التنمية" نفسها هي مفهوم غربي تم إنشاؤه وتصديره كأداة للهيمنة بعد حقبة الاستعمار السياسي المباشر، حيث تم تصوير مجتمعات الجنوب على أنها ناقصة وتحتاج إلى إصلاح وفق قيم ومعايير غربية. يدعو هذا النقد إلى "نظرية تنموية من الجنوب" أو "نظريات تنموية محلية" تستند إلى الخبرات التاريخية، والمعارف الأصلية، والأنظمة القيمية، والهياكل المؤسسية المميزة للمجتمعات غير

---

[9] Galor, Omer. *Unified Growth Theory*. Princeton: Princeton University Press, 2011

[10] Putnam, Robert D. *Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community*. New York: Simon & Schuster, 2000.

[11] Murray, Robin, Julie Caulier-Grice, and Geoff Mulgan. *The Open Book of Social Innovation*. London: NESTA, 2010.

[12] World Bank. *World Development Report 2021: Data for Better Lives*. Washington, DC: World Bank, 2021.

الغربية. على سبيل المثال، يمكن لمفاهيم مثل "الاقتصاد البوذي" (التركيز على الاكتفاء وليس الجشع) أو أفكار "Ubuntu" الأفريقية ("أنا موجود لأننا موجودون" – التركيز على الجماعة والترابط)، أو مفاهيم التوازن مع الطبيعة في الثقافات الأصلية، أن تقدم بدائل حيوية للنموذج الفردي الاستهلاكي التنافسي المهيمن. لا يعني هذا رفض كل المعرفة العالمية، بل الدعوة إلى حوار أكثر تساوياً وتوليفاً خلاقاً بين المعارف العالمية والمحلية[13].

.5مؤشرات حديثة في قياس التنمية: ما وراء الناتج المحلي الإجمالي

لقد تجاوزت أدوات قياس التنمية الحديثة الناتج المحلي الإجمالي بشكل كبير. يستمر "مؤشر التنمية البشرية (HDI) "في التطور، حيث أضيف له "مؤشر التنمية البشرية المعدل حسب عدم المساواة " (IHDI)الذي يخصم قيمة HDI بناءً على مدى التفاوت في توزيع الإنجاز في كل من مكوناته (الصحة، التعليم، الدخل). أما "مؤشر الفقر متعدد الأبعاد (MPI) "الذي طوره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤشر أكسفورد للفقر والتنمية البشرية(OPHI) ، فيذهب إلى ما هو أبعد من قياس الفقر النقدي، حيث يقيس الحرمان الحاد عبر ثلاثة أبعاد (الصحة، التعليم، مستوى المعيشة) وعشرة مؤشرات، مما يعطي صورة أدق عن الأشخاص الذين يعانون فقراً متراكباً[14].

في مجال الاستدامة، يقدم "مؤشر الأداء البيئي (EPI) "الذي يصدر كل عامين من جامعة ييل تصنيفاً عالمياً للدول بناءً على أدائها في معالجة مشكلات البيئة ذات الأولوية في مجالين: صحة النظام البيئي وحيويته، وضغوط البيئة على صحة الإنسان. وهو يساعد في تقييم مدى التقدم نحو الأهداف البيئية في أهداف التنمية المستدامة. كما تحاول مبادرات مثل "مؤشر الاستدامة الرقمية" أو "مؤشر تأثير التكنولوجيا على أهداف التنمية المستدامة" قياس كيفية استخدام التكنولوجيا وتسريع تحقيق الأهداف، أو عرقلته، في مجالات مثل الطاقة، والمدن الذكية، والشمول[15].

نحو فسيفساء التنمية الإنسانية

إن تطور الفكر التنموي المعاصر يؤكد حقيقة أساسية: لا توجد نظرية واحدة شاملة، ولا مسار واحد صحيح للتنمية. لقد تحولنا من السرديات الكبرى (التحديث، التبعية) إلى الاعتراف بتعدد السبل وتنوع السياقات. إن التحدي الماثل أمام صانعي السياسات والباحثين اليوم هو كيفية نسج خيوط هذه المقاربات المختلفة – الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والثقافية والتاريخية – في نسيج متماسك ومرن. يجب أن تتعلم النظريات من التاريخ العميق (كما في نظرية النمو الموحد)، وأن تستجيب للتحولات التكنولوجية الهائلة، وأن تحترم السياقات المحلية والمعارف الأصلية، وأن تضع رفاه الإنسان وكرامته وحرياته في المركز، وأن تفعل ذلك ضمن حدود الكوكب البيئية. التنمية المستدامة والشاملة، في نهاية المطاف، هي فن تحقيق التوازن

---

[13] Escobar, Arturo. *Encountering Development: The Making and Unmaking of the Third World*. Princeton: Princeton University Press, 1995.

[14] Alkire, Sabina, and James Foster. "Counting and Multidimensional Poverty Measurement." *Journal of Public Economics* 95, no. 7–8 (2011): 476–487.

[15] Wendling, Z.A., et al. *Environmental Performance Index 2022*. New Haven, CT: Yale Center for Environmental Law & Policy, 2022.

الديناميكي في عالم معقد، وهي رحلة مستمرة من البحث عن حياة كريمة للجميع على هذه الأرض المشتركة[16].

التحليل العميق للحالات التنموية: ربط الإطار النظري بالتطبيق الميداني في تدريس العلاقات الدولية

لماذا يحتاج طالب العلاقات الدولية إلى فهم التنمية؟

لم يعد مجال العلاقات الدولية حكراً على دراسة الصراعات العسكرية والدبلوماسية التقليدية بين الدول. لقد توسع نطاقه ليشمل القضايا العابرة للحدود التي تشكل السياق الجيوسياسي والاجتماعي-الاقتصادي العالمي، وعلى رأس هذه القضايا تأتي مسألة التنمية .فالفوارق التنموية الهائلة بين الشمال والجنوب، وتحديات الاستدامة البيئية، وعدم الاستقرار الناجم عن الفقر وغياب العدالة، كلها عوامل تشكل محركات أساسية للسياسات الدولية، من مفاوضات المناخ إلى إستراتيجيات الأمن القومي. لذلك، فإن تمكين الطالب من تحليل مسارات التنمية ليس ترفاً أكاديمياً، بل هو ضرورة منهجية لفهم الديناميكيات المعاصرة للنظام العالمي. تكمن المشكلة التعليمية التقليدية في الفجوة بين استيعاب النظريات المجردة والقدرة على تطبيقها على وقائع معقدة ومتغيرة. هنا تبرز أهمية الورشة التطبيقية القائمة على تحليل حالة تنموية محددة، حيث تتحول النظريات من مصطلحات في كتب مدرسية إلى عدسات تحليلية تكشف آليات النجاح والفشل في العالم الحقيقي. تهدف هذه المقالة إلى تقديم إطار منهجي متكامل لتطبيق مثل هذه الورشة، مع تعميق الفهم النظري لثلاثة أطر أساسية (التنمية المستدامة، نظرية النمو الموحد، والتنمية المجتمعية) وتطبيقها العملي عبر نموذج تحليلي لحالة دراسة محددة[17].

القسم الأول: الأسس النظرية: عدسات ثلاث لقراءة واقع معقد

قبل الشروع في التطبيق العملي، من الضروري تأسيس فهم رصين للنظريات التي ستشكل أدواتنا التحليلية. يجب أن ننظر إلى كل إطار نظري ليس كحقيقة مطلقة، بل كعدسة تركز على جوانب محددة من عملية التنمية متعددة الأوجه. اختيار هذه الأطر الثلاثة تحديداً ليس اعتباطياً؛ فهو يجمع بين المنظور الشمولي العالمي (التنمية المستدامة)، والمنظور التاريخي الاقتصادي طويل المدى (نظرية النمو الموحد)، والمنظور المحلي الإنساني المتمركز على الناس (التنمية المجتمعية.(

.1التنمية المستدامة: الإطار التكاملي الشمولي

ظهر مفهوم التنمية المستدامة بشكل بارز في تقرير برونتلاند عام 1987، الذي عرفها بأنها "التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة (World Commission on Environment and Development 1987). "ومع ذلك، فقد تطور هذا المفهوم من مجرد فكرة بيئية إلى إطار تحليلي معقد يجسد التعارض والتكامل بين ثلاثة أركان رئيسية: الاقتصادي، والاجتماعي، والبيئي .تكمن قوة هذا الإطار في كونه يرفض اختزال التنمية في نمو الناتج

---

[16] Stiglitz, Joseph E., Amartya Sen, and Jean-Paul Fitoussi. *Mismeasuring Our Lives: Why GDP Doesn't Add Up*. New York: The New Press, 2010.

[17] Baylis, John, Steve Smith, and Patricia Owens, eds. *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations*. 8th ed. Oxford: Oxford University Press, 2020.)

المحلي الإجمالي فقط، ويصر على ضرورة النظر إلى التكاليف البيئية والعدالة الاجتماعية كجزء لا يتجزأ من المعادلة. على سبيل المثال، قد يحقق مشروع سد ضخم نمواً اقتصادياً سريعاً (الركن الاقتصادي) ويوفر فرص عمل (جزء من الركن الاجتماعي)، لكنه قد يؤدي في الوقت ذاته إلى تهجير مجتمعات محلية (إخلال بالعدالة الاجتماعية) وتدمير نظم إيكولوجية حيوية (إخلال بالركن البيئي). في التحليل الدولي، يفرض هذا الإطار النظر إلى سياسات الدول من زاوية التزاماتها بموجب أهداف التنمية المستدامة 2030، وكيفية تفاوضها على التنازلات بين هذه الأركان في المحافل العالمية. إنه عدسة ضرورية لفهم الخلافات بين الدول الصناعية والدول النامية في مفاوضات مثل قمة المناخ(COP) ، حيث تتركز الصراعات حول من يتحمل تكلفة الانتقال البيئي والعادل[18].

.2نظرية النمو الموحد :(Unified Growth Theory) العدسة التاريخية الطويلة المدى بينما تركز التنمية المستدامة على التوازنات في الحاضر والمستقبل، تقدم نظرية النمو الموحد، التي طورها اقتصاديون مثل أورون غالور، رواية تاريخية-اقتصادية شاملة تحاول تفسير "التحول العظيم" من فترات الركود المالي الطويلة في التاريخ البشري إلى النمو المستمر منذ الثورة الصناعية .(Galor 2011) تكمن قوة هذه النظرية في محاولتها توحيد تفسير النمو في مراحله الثلاث: العصر المالتوسي (حيث يؤدي أي نمو في الدخل إلى زيادة سكانية تلغيه)، مرحلة الانتقال بعيداً عن فخ مالتوس، ومرحلة النمو الحديث المستدام. تلفت النظرية الانتباه إلى عوامل حاسمة مثل وتيرة التقدم التكنولوجي، والاستثمار في رأس المال البشري (الصحة والتعليم)، والتحول الديموغرافي (انخفاض معدلات الخصوبة والوفيات .(من منظور تحليل الحالة، تجبرنا هذه النظرية على عدم الحكم على أداء دولة ما من خلال لقطة من عقد واحد، بل على تتبع مسارها الطويل. فهي تساعد في الإجابة على أسئلة جوهرية: لماذا تمكنت بعض الدول (كاليابان وكوريا الجنوبية) من "اللحاق بالركب" بينما علقت أخرى في "فخاخ الدخل المتوسط"؟ تكمن الإجابة غالباً في الاختلافات في الاستثمار المبكر والمستمر في التعليم والتكنولوجيا، والقدرة على إدارة التحول الديموغرافي لصالح النمو. إنها عدسة تكشف أن سياسة التعليم أو الصحة ليست مجرد سياسات اجتماعية، بل هي محركات تاريخية عميقة للمصير التنموي للأمم [19].

.3التنمية المجتمعية :(Community Development) المنظور من القاعدة إلى القمة إذا كانت نظرية النمو الموحد تأخذ منحىً اقتصادياً كلانياً(macroeconomics) ، فإن التنمية المجتمعيةتضع الإنسان والمجموعة المحلية في قلب العملية. تعرفها الرابطة الدولية للتنمية المجتمعية (IACD)بأنها "ممارسة يقوم فيها أفراد المجتمع بأنفسهم، بشكل جماعي، بإجراءات لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية، لدمج المجتمعات في حياة الأمم وتمكينها من المساهمة الكاملة في التقدم الوطني (International Association for Community Development) " .(2018ترتكز فلسفة هذا النهج على مبادئ المشاركة الشعبية، والتمكين، والاستدامة المحلية، وبناء القدرات .وهو يشكك في النماذج التنموية "العالية إلى المنخفضة (top-down) "التي تخطط في العواصم وتنفذ في القرى دون استشارة حقيقية لأهلها. في التحليل العملي، يجبرنا هذا الإطار على طرح أسئلة

---

[18] World Commission on Environment and Development. *Our Common Future*. Oxford: Oxford University Press, 1987. وكذلك: Mensah, Justice. "Sustainable Development: Meaning, History, Principles, Pillars, and Implications for Human Action: Literature Review." *Cogent Social Sciences* 5, no. 1 (2019): 1653531.)

[19] Galor, Oded. *Unified Growth Theory*. Princeton: Princeton University Press, 2011.)

مختلفة: من المستفيد الحقيقي من المشاريع التنموية؟ هل شارك المجتمع المحلي في تحديد أولوياته؟ هل عزز المشروع من التماسك الاجتماعي أم زاد من الانقسامات؟ هل تم بناء مهارات ومؤسسات محلية تدوم بعد انتهاء التمويل الخارجي؟ غالباً ما يكون الفشل التنموي، حتى في ظل وجود مؤشرات اقتصادية إيجابية، مرتبطاً بإغفال هذا البعد المجتمعي. إنه المنظور الذي يذكرنا بأن التنمية، في نهاية المطاف، هي للناس وبواسطتهم[20].

القسم الثاني: التطبيق العملي: تحليل حالة رواندا – من الإبادة إلى النموذج التنموي المثير للجدل

لنجسد الآن عملية الربط بين النظرية والتطبيق. لنختار جمهورية رواندا كحالة دراسة. يبدو هذا الخيار مفيداً بسبب دراماتيكية تحولها من حرب أهلية وإبادة جماعية عام 1994 دمّرت البنية التحتية الاجتماعية والاقتصادية بالكامل، إلى دولة تُعدّ اليوم واحدة من أكثر اقتصادات أفريقيا نمواً واستقراراً، رغم كل الانتقادات الموجهة لنموذجها السياسي. سنقوم بتحليل مسارها التنموي عبر العدسات الثلاث التي أسسنا لها.

الفقرة التحليلية الأولى: منظور التنمية المستدامة في رواندا
من منظور أهداف التنمية المستدامة، تقدم رواندا صورة متناقضة تستدعي تحليلاً دقيقاً. على الصعيد الاقتصادي، سجلت البلاد معدلات نمو مذهلة تجاوزت 7% في المتوسط سنوياً لعقدين، مع انخفاض حاد في معدلات الفقر المدقع (من 77% عام 1995 إلى حوالي 55% عام 2017 حسب البنك الدولي (World Bank 2020).لقد استثمرت الحكومة بشكل كبير في البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مما جعل كيغالي مركزاً تكنولوجياً إقليمياً. على الصعيد الاجتماعي، حققت تقدماً ملحوظاً في مؤشرات الصحة (مثل خفض وفيات الأمهات والأطفال) والتعليم (معدلات الالتحاق العالية بالتعليم الابتدائي). كما نفذت سياسات طموحة لتمثيل المرأة في المناصب القيادية (تشغل النساء اليوم أكثر من 60% من مقاعد البرلمان). على الصعيد البيئي، تفرض رواندا بعضاً من أشد القوانين البيئية في العالم، بما في ذلك حظر الأكياس البلاستيكية غير القابلة للتحلل، وبرامج إعادة التشجير الواسعة، وحماية الغابات والحيوانات المهددة بالانقراض (Rwanda Environment Management Authority 2020).ومع ذلك، فإن التحليل المتكامل يكشف عن توترات عميقة. فالنمو الاقتصادي السريع لم يترجم بعد إلى رفاهية شاملة للجميع، ولا يزال الفقر واسع الانتشار في المناطق الريفية. والأهم من ذلك، أن النموذج التنموي الرواندي يدار بنهج مركزي صارم(top-down) ، حيث تُفرض الأولويات من أعلى مع قيود كبيرة على الحريات السياسية والحيز المدني. هذا يخلق تناقضاً جوهرياً مع روح "الاستدامة" الحقيقية التي تقوم على المشاركة والتعددية. هل يمكن أن نطلق على نموذج تنموي "مستدام" إذا كان يعتمد بشكل كبير على شخصية وسلطة رئيس واحد (بول كاغامي) وعلى التمويل الخارجي الكبير؟ يثير هذا التساؤل إشكالية التوازن بين الكفاءة (في تحقيق المؤشرات) والعدالة التوزيعية والمشاركة السياسية كأبعاد أساسية للتنمية المستدامة[21].

---

[20] International Association for Community Development. "What is Community Development?" Accessed February 2, 2024. https://www.iacdglobal.org/what-is-community-development/)

[21] World Bank. *Rwanda Systematic Country Diagnostic: Towards the End of Poverty and Boosting Shared Prosperity*. Washington, DC: World Bank, 2020. وكذلك: Rwanda

الفقرة التحليلية الثانية: منظور نظرية النمو الموحد في رواندا
من خلال عدسة نظرية غالور، يمكن تفسير جزء كبير من قصة رواندا كحالة لـ "التسارع التاريخي"المدروس. فبعد عام 1994، كانت البلاد في حالة تشبه العصر المالتوسي: دمار هائل، وفقدان لرأس المال البشري، واقتصاد معتمد على الزراعة التقليدية. كانت الاستراتيجية التي تبنتها النخبة الحاكمة متسقة بشكل لافت مع عوامل التحول في نظرية النمو الموحد .أولاً، الاستثمار المتسارع في رأس المال البشري :خصصت الحكومة جزءاً كبيراً من ميزانيتها للتعليم والصحة، مع برامج لمحو الأمية وتعليم المهارات التقنية .ثانياً، التعجيل بالتحول الديموغرافي :شجعت سياسات تنظيم الأسرة بقوة، مما ساهم في انخفاض معدل الخصوبة من نحو 6.1 مواليد للمرأة عام 2000 إلى حوالي 4.0 عام 2020، وهو انخفاض سريع جداً بالمقاييس الديموغرافية .(UNDP 2020) ساهم هذا في إبطاء نمو عدد الأفواه التي يجب إطعامها وزيادة نسبة السكان في سن العمل مقارنة بالمعالين، مما خلق "عائداً ديموغرافياً" محتملاً .ثالثاً، التركيز على التكنولوجيا :لم تكن سياسة "رواندا الذكية" مجرد شعار، بل كانت محاولة واعية للقفز فوق مراحل تنموية تقليدية والالتحاق بالاقتصاد المعرفي العالمي. باختصار، حاولت رواندا ضغط مراحل التحول التاريخي التي استغرقت قروناً في أوروبا في عقود قليلة، تحت إشراف دولة قوية ومخططة. ومع ذلك، تطرح النظرية نفسها سؤالاً حول مصدر التقدم التكنولوجي .ففي النموذج التاريخي، ينبع التقدم غالباً من بيئة تنافسية ومفتوحة تشجع الابتكار. هل يمكن للدولة القوية جداً والتي تهيمن على الاقتصاد أن تحافظ على وتيرة الابتكار على المدى الطويل، أم أن ذلك قد يؤدي إلى جمود وخنق للإبداع الفردي؟ هذا تحدٍ لا تقدم له نظرية النمو الموحد إجابة حتمية، لكنه يظل سؤالاً مركزياً لمستقبل النموذج الرواندي[22].

الفقرة التحليلية الثالثة: منظور التنمية المجتمعية في رواندا
هنا يكمن ربما أكبر مجال للنقاش والنقد حول النموذج الرواندي. فمن ناحية، تبنت الحكومة سياسات ومؤسسات تبدو وكأنها تعزز التنمية المجتمعية. أبرز مثال هو "الئامورانغا(Umuganda) "، وهو يوم عمل جماعي إلزامي في آخر سبت من كل شهر، حيث يتوقف كل نشاط في البلاد ويشارك المواطنون في مشاريع خدمية مثل تنظيف الأحياء أو بناء مدارس أو تشييد طرق (Rwanda Governance Board 2019).يروج لهذا النظام كآلية لإعادة بناء التماسك الاجتماعي وتعزيز قيمة العمل الجماعي بعد الإبادة. كما تم إنشاء محاكم "الئاقاتشا (Gacaca) "المحلية لمعالجة جرائم الإبادة، والتي كانت شكلاً من أشكال العدالة التصالحية المجتمعية. ومع ذلك، من منظور فلسفة التنمية المجتمعية الحقيقية، فإن هذه الممارسات تثير إشكاليات جادة. فمشاركة المجتمع في "الئامورانغا" هي مشاركة إلزامية وليست طوعية، وقد تستخدم كأداة للرقابة الاجتماعية والسيطرة. أما "الئاقاتشا" فكانت عملية موجهة من الدولة لتحقيق هدف وطني أوسع هو المصالحة. السؤال الجوهري هو: هل تم تمكين المجتمعات المحلية حقاً لتحديد أولوياتها وتصميم وتنفيذ مشاريعها بأنفسها؟ تشير العديد من التقارير إلى أن النموذج شديد المركزية في كيغالي يترك مساحة ضئيلة جداً للاستقلالية المحلية أو للمبادرات الشعبية المستقلة .(Ansoms 2011) يتم تخطيط المشاريع وتنفيذها وفق رؤية وطنية موحدة، وغالباً ما تُفرض على القرى. هذا النهج قد يحقق كفاءة في التنفيذ وسرعة

Environment Management Authority. *State of Environment and Outlook Report 2020*. Kigali: REMA, 2020.)

[22] United Nations Development Programme (UNDP). *Human Development Report 2020: The Next Frontier – Human Development and the Anthropocene*. New York: UNDP, 2020.)

في تحقيق الأهداف المادية، لكنه قد يضعف بناء القدرات المحلية الحقيقية والملكية المجتمعية للمشاريع، وهي عناصر حيوية لاستدامة التنمية على المدى الطويل. هل تستطيع المجتمعات المحلية مواصلة هذه المشاريع وإدارتها إذا توقف التمويل أو التوجيه المركزي؟ هذا هو امتحان التنمية المجتمعية الحقيقية[23].

القسم الثالث: التوليف والاستنتاجات: الدروس المستفادة للطالب والمحلل

بعد تطبيق الأطر النظرية الثلاثة على حالة رواندا، يظهر لنا صورة متعددة الأبعاد ومعقدة .لا يمكن اختزال تجربة رواندا في مجرد "معجزة اقتصادية أفريقية" كما تروج لها بعض التقارير، ولا في "دكتاتورية تنموية" كما يصورها النقاد. بل هي نموذج هجين يقدم دروساً ثمينة لطالب العلاقات الدولية والتنمية.

الدرس الأول: النظريات ليست متضادة بل مكملة .لقد رأينا كيف أن كل نظرية سلطت الضوء على جانب مختلف من التجربة. التنمية المستدامة كشفت التوترات بين مؤشرات النجاح والقيود السياسية. نظرية النمو الموحد فسرت الاستراتيجية التاريخية للقفز التنموي. التنمية المجتمعية نبهتنا إلى الثمن المحتمل المتمثل في غياب المشاركة الحقيقية. التحليل الشامل يتطلب استخدام هذه العدسات جميعاً.

الدرس الثاني: السياق هو الملك .ما قد يصلح في رواندا، ذات التاريخ المأساوي والحجم الصغير والطبيعة الجغرافية المحددة، قد لا ينطبق على دولة كبيرة ومتنوعة مثل نيجيريا أو الكونغو الديمقراطية. فرضية "الدولة القوية" كشرط للتنمية، والتي تظهر في الحالة الرواندية، ليست قانوناً عالمياً، وقد تؤدي في سياقات أخرى إلى استبداد دون تنمية. على الطالب أن يتعلم استخلاص المبادئ العامة مع الحذر من التعميم الأعمى.

الدرس الثالث: المعضلات الأخلاقية في قلب العلاقات الدولية .تضعنا حالة رواندا أمام معضلة أخلاقية وعملية كلاسيكية :مقايضة الحرية السياسية والانفتاح مقابل الأمن والنمو الاقتصادي السريع .كيف تتعامل الدول الغربية والمنظمات الدولية مع هذا النموذج؟ نقدها له من ناحية، وتمويلها واستثمارها فيه من ناحية أخرى. هذا يعكس التناقضات العملية في سياسات التنمية العالمية، حيث يتم غالباً إعطاء الأولوية للاستقرار والنتائج الاقتصادية الملموسة على حساب المبادئ الديمقراطية، خاصة في سياقات ما بعد الصراع.

الدرس الرابع: أهمية المقاييس المتعددة .لا يمكن الحكم على نجاح أو فشل التنمية بمقياس واحد، سواء كان الناتج المحلي الإجمالي أو مؤشر الحرية السياسية. يجب بناء تحليل متعدد المعايير يجمع بين البيانات الكمية (النمو، الفقر، الصحة) والبيانات النوعية (الشعور بالأمان، الرضا عن الحياة، حرية التعبير.(

)مرجع القسم: توليف من التحليل السابق. للمزيد على معضلة الحرية مقابل النمو، انظر :Acemoglu, Daron, and James A. Robinson. *Why Nations Fail: The Origins of Power, Prosperity, and Poverty*. New York: Crown Business, 2012.)

الخاتمة: نحو منهجية تدريس تحويلية

ختاماً، فإن الورشة التطبيقية لتحليل الحالة التنموية، كما تم عرضها هنا، ليست مجرد تمرين أكاديمي، بل هي أداة لتنمية التفكير النقدي والتحليلي المعقد لدى طالب العلاقات الدولية. من خلال الغوص في حالة مثل رواندا، يتعلم الطالب أن يتحرك ببراعة بين مستويات التحليل: من النظريات المجردة العالمية، إلى

[23] Rwanda Governance Board. *Citizen Participation in Governance: The Case of Umuganda in Rwanda*. Kigali: RGB, 2019. وكذلك: Ansoms, An. "Rwanda's Post-Genocide Economic Model: Liberal Ideals and Illiberal Interventions." *Third World Quarterly* 32, no. 10 (2011): 1917–1933.)

السياسات الوطنية، وصولاً إلى واقع المجتمعات المحلية. يتعلم أن يسأل "كيف" و"لماذا" بدلاً من الاكتفاء بـ "ماذا". يتعلم أن يرى التنمية كعملية صراعية وتفاوضية مليئة بالمفاضلات، وليس كمسار خطي نحو التقدم. الأهم من ذلك، يتعلم أن السياسة الدولية ليست شيئاً يحدث "هناك "في المؤتمرات الدبلوماسية فقط، بل هي متجسدة في سياسات التعليم في رواندا، وفي جدل المجتمع المحلي حول مشروع تنموي، وفي مفاوضات التمويل بين كيغالي والمانحين. إن إتقان هذا النوع من التحليل المتعدد المستويات والمتعدد التخصصات هو ما يجهز طالب اليوم ليصبح محللاً أو صانع سياسة أو ناشطاً فاعلاً في عالم الغد المعقد والمترابط. وهكذا، تتحقق الغاية العليا للتعليم العالي في العلاقات الدولية: فهم العالم ليس كما نرغب أن يكون، بل كما هو في تعقيده الكامل، كخطوة ضرورية نحو تغييره للأفضل[24].

عنوان المقالة: تصميم استراتيجيات تنموية مجتمعية في إطار التنمية المستدامة: من النظرية إلى التطبيق العملي

المقدمة: إطار المفاهيمي للاستراتيجية التنموية في عالم متغير

يُشكل تصميم الاستراتيجيات التنموية تحدياً مركزياً للدول والمجتمعات في القرن الحادي والعشرين، خاصة في ظل التشابك المتزايد بين التحديات المحلية والعالمية. لم تعد التنمية تُفهم على أنها مجرد نمو اقتصادي كمي، بل تحولت إلى مفهوم معقد وشامل يرتكز على مبدأ الاستدامة بجميع أبعادها: الاقتصادية والاجتماعية والبيتمية. إن الانتقال من وضع الخطط التقليدية إلى صياغة استراتيجيات تنموية فاعلة يتطلب فهماً عميقاً للسياق الدولي الذي تتحرك فيه الدول، حيث تؤثر عوامل مثل العولمة، وتغير المناخ، والتحولات التكنولوجية، ونضوب الموارد، وعدم الاستقرار الجيوسياسي، بشكل مباشر على هامش المناورة المتاح للصانع المحلي. هنا، تبرز أهمية الربط بين دراسات العلاقات الدولية والتنمية، فالقدرة على قراءة البيئة الخارجية وتوقع تحولاتها أصبحت شرطاً أساسياً لنجاح أي استراتيجية وطنية أو مجتمعية. إن تصميم خطة تطوير مجتمعية أو قطاعية، كما في النشاط المطلوب، ليس تمريناً أكاديمياً مجرداً، بل هو محاكاة للعمليات الفعلية التي تجري في أروقة الحكومات والمنظمات غير الحكومية، حيث يجب أن تستند إلى تشخيص دقيق للواقع، ورؤية طموحة للمستقبل، وآليات مرنة للتكيف مع المستجدات. وبالتالي، فإن هذا النشاط يتطلب من الطالب أن يجمع بين المهارات التحليلية لفهم السياق، والمهارات التصميمية لبناء نموذج عملي، والمهارات التقييمية لقياس الأثر، مما يخلق جيلاً جديداً من صانعي السياسات القادرين على مواجهة تعقيدات العصر.[25]

الجزء الأول: الأساس النظري: من التنمية التقليدية إلى التنمية المستدامة كإطار استراتيجي

شهد مفهوم التنمية تحولات جذرية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فبعد أن هيمن نموذج التنمية الخطي، الذي يقيس التقدم بمؤشرات اقتصادية صرفة مثل الناتج المحلي الإجمالي، برزت انتقادات حادة لهذا النموذج لعدم قدرته على معالجة الفقر المتزايد، وعدم المساواة، والتدهور البيئي. أدى ذلك إلى ظهور مفهوم "التنمية

---

[24] Reus-Smit, Christian, and Duncan Snidal, eds. *The Oxford Handbook of International Relations*. Oxford: Oxford University Press, 2008.)

[25] United Nations Development Programme (UNDP), *Human Development Report 2020: The Next Frontier – Human Development and the Anthropocene* (New York: UNDP, 2020), 15-38, https://hdr.undp.org/system/files/documents/hdr2020pdf.pdf.

البشرية" في تسعينيات القرن العشرين، والذي وسع دائرة الاهتمام ليشمل تحسين القدرات والخيارات المتاحة للأفراد، مؤكداً على أبعاد مثل الصحة والتعليم. ومع ذلك، فإن التحدي الأكبر تمثل في كيفية تحقيق هذا التقدم دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها، وهو ما بلورته "لجنة برونتلاند" في تقريرها التاريخي عام 1987 تحت مسمى "التنمية المستدامة". لم يعد هذا المفهوم ترفاً فكرياً، بل أصبح الإطار المهيمن على الخطاب التنموي العالمي، كما تجلى في اعتماد "أجندة 2030 للتنمية المستدامة" وأهدافها السبعة عشر (SDGs) من قبل جميع دول الأمم المتحدة في عام 2015. تشكل هذه الأهداف، بشموليتها وترابطها، خارطة طريق عالمية وأداة مرجعية لا غنى عنها لأي مصمم استراتيجية تنموية. إن تصميم خطة تنموية اليوم، سواءً على مستوى قرية أو قطاع صحي، يجب أن ينطلق من فهم كيفية مساهمة هذه الخطة في تحقيق واحد أو أكثر من هذه الأهداف العالمية، وكيفية ترجمة هذه الأهداف الشمولية إلى مؤشرات ومبادرات ملموسة على أرض الواقع. وهذا التحول من النظرة الضيقة إلى النظرة الشمولية المترابطة هو جوهر التحدي الذي يواجه مخططي التنمية المعاصرين.[26]

الجزء الثاني: المرحلة التأسيسية: التشخيص السياقي وتحليل الجهات الفاعلة

قبل الشروع في رسم أي أهداف، يجب أن يقوم تصميم الاستراتيجية على تشخيص عميق ودقيق للواقع. هذه المرحلة، التي يمكن تسميتها "التحليل السياقي"، هي حجر الزاوية التي تُبنى عليها جميع المراحل اللاحقة. أول عنصر في هذا التشخيص هو التحليل الداخلي (الذاتي (للمجتمع أو القطاع المستهدف. يتضمن ذلك تقييم الموارد المتاحة (البشرية، المالية، الطبيعية، المؤسسية)، ونقاط القوة والضعف الداخلية. على سبيل المثال، عند تصميم خطة لتطوير التعليم في منطقة ريفية، يجب حصر عدد المدارس، جودة البنى التحتية، مؤهلات المعلمين، معدلات التسرب، وتوفر التكنولوجيا. يلي ذلك التحليل الخارجي، الذي يدرس الفرص والتهديدات النابعة من البيئة الأوسع. هنا، تدخل عناصر العلاقات الدولية بقوة: كيف تؤثر السياسات التعليمية العالمية أو المعايير الدولية على الخيارات المحلية؟ هل توجد منح أو شراكات دولية يمكن الاستفادة منها؟ ما هو أثر الهجرة أو النزاعات في الدول المجاورة على النظام التعليمي؟[27]

ثانياً، لا يمكن فهم أي سياق تنموي دون تحليل الجهات الفاعلة .(Stakeholder Analysis) من هم الأفراد أو المجموعات أو المؤسسات الذين سيتأثرون بالاستراتيجية أو الذين يمكنهم التأثير على نجاحها أو فشلها؟ يمتد هذا التحليل من السلطات الحكومية المحلية والوزارات المعنية، إلى المجتمع المدني (الجمعيات، النقابات)، والقطاع الخاص، والمؤسسات الدولية المانحة، وأهم من ذلك: المواطنون أنفسهم، وخاصة الفئات المهمشة مثل النساء والشباب. إن إشراك هذه الجهات في مرحلة التشخيص نفسها، من خلال ورش عمل أو استطلاعات رأي، لا يضمن فقط الحصول على صورة أوضح، بل يبني أيضاً شرعية للاستراتيجية ويخلق شعوراً بالملكية المشتركة، مما يزيد من فرص تنفيذها لاحقاً. تجاهل مصالح أو تحفظات جهة فاعلة رئيسية يمكن أن يحول دون تنفيذ الخطة حتى لو كانت مثالية على الورق.[4]

الجزء الثالث: صياغة الرؤية والأهداف الاستراتيجية القابلة للقياس

---

[26] Jeffrey D. Sachs, *The Age of Sustainable Development* (New York: Columbia University Press, 2015), 3-25.

[27] World Bank, *World Development Report 2018: Learning to Realize Education's Promise* (Washington, DC: World Bank, 2018), 51-78, https://openknowledge.worldbank.org/handle/10986/28340.
[4] John Friedmann, *Planning in the Public Domain: From Knowledge to Action*(Princeton: Princeton University Press, 1987), 165-190.

بناءً على التشخيص، تبدأ مرحلة التصميم الفعلي للاستراتيجية. تبدأ هذه المرحلة بتكوين رؤية (Vision)واضحة وملهمة. الرؤية هي بيان طموح يصف الحالة المنشودة التي ستكون عليها المجتمع أو القطاع بعد فترة زمنية محددة (مثلاً 10 سنوات). يجب أن تكون الرؤية بسيطة وواقعية لكنها محفزة، كأن تكون: "أن نصبح مجتمعاً تعليمياً يتسم بالإنصاف والجودة، ويُخرّج مواطنين مبتكرين وقادرين على المنافسة في اقتصاد المعرفة". من هذه الرؤية الشاملة، تُشتق الأهداف الاستراتيجية العامة .هذه الأهداف تحول الرؤية إلى اتجاهات عمل رئيسية، مثل: تحسين جودة التعليم الأساسي، أو تعزيز تكافؤ فرص الالتحاق بالتعليم الثانوي، أو تطوير مهارات التوظيف لدى الخريجين.[28]

لكن جوهر الاستراتيجية الفاعلة يكمن في تحويل هذه الأهداف العامة إلى أهداف ذكية قابلة للقياس .(SMART Goals)هنا يجب أن يلتزم الطالب بدقة منهجية. الهدف الذكي هو الذي يكون: محدداً (Specific)، قابلاً للقياس(Measurable) ، قابلًا للتحقيق(Achievable) ، واقعياً وذو صلة (Relevant)، ومحدداً بزمن .(Time-bound) بدلاً من الهدف الفضفاض "تحسين الصحة البيئية"، يجب صياغة هدف مثل: "خفض تركيز الجسيمات الدقيقة (PM2.5) في هواء المدينة بنسبة 20% مقارنة بمستويات عام 2023، وذلك بحلول نهاية عام 2028". هذه الصيغة توضح بالضبط ما المطلوب تحقيقه، وكيف سيُقاس، وبأي نسبة، وفي أي إطار زمني. عملية الصياغة هذه تتطلب معرفة بالمؤشرات الدولية المستخدمة في المجال، سواءً كانت من أهداف التنمية المستدامة أو من قواعد بيانات منظمة الصحة العالمية أو البنك الدولي. إن تعقيد هذه الخطوة لا يقل أهمية عن سابقاتها، لأن الأهداف غير الواضحة أو غير القابلة للقياس تؤدي حتماً إلى فشل في المتابعة والتقييم، وبالتالي إلى استراتيجية حبر على ورق[29]

الجزء الرابع: بناء إطار المؤشرات وآليات المتابعة والتقييم

لا يمكن ضمان نجاح الاستراتيجية دون نظام قوي للمتابعة والتقييم .(Monitoring & Evaluation) هذا النظام هو عين الاستراتيجية وضميرها، فهو الذي يخبرنا عما إذا كنا نسير على المسار الصحيح، ويقيس مدى التقدم المحرز نحو الأهداف. العنصر الأساسي في هذا النظام هو إطار المؤشرات .لكل هدف ذكي، يجب تحديد مؤشر أو مجموعة مؤشرات. تنقسم المؤشرات عادة إلى ثلاثة أنواع :مؤشرات المدخلات)مثل: الميزانية المخصصة، عدد الموظفين المُدرَّبين(، ومؤشرات المخرجات)مثل: عدد العيادات المُنشأة، عدد ورش التوعية المنعقدة(، ومؤشرات النتائج/الأثر)مثل: انخفاض معدل انتشار مرض معين، تحسن مستوى الوعي الصحي). التركيز يجب أن يكون على مؤشرات النتائج والأثر، لأنها التي تعكس التغيير الحقيقي في حياة الناس، وليس فقط حجم الأنشطة المنفذة.[30]

بجانب المؤشرات، يجب تصميم آلية للمتابعة تحدد: من سيجمع البيانات؟ (مكتب المشروع، إدارة إحصائية محلية)، وكيف ستُجمع؟ (مسوحات، مجموعات بؤرية، بيانات إدارية)، ومتى؟ (ربع سنوياً، سنوياً). كما يجب تحديد مسؤوليات واضحة للإبلاغ عن التقدم. أخيراً، يجب وضع خطة للتقييم الدوري، تتضمن تقييماً

---

[28] World Health Organization (WHO), *Strategic Planning: A Practical Guide for Primary Health Care Organizations* (Geneva: WHO, 2021), 22-30, https://apps.who.int/iris/handle/10665/340973.

[29] David E. K. Hunter, *Working with SMART Goals in Foundations and Nonprofits* (New York: The Foundation Center, 2014), 8-15.

[30] Organization for Economic Co-operation and Development (OECD), *Better Criteria for Better Evaluation: Revised Evaluation Criteria Definitions and Principles for Use*(Paris: OECD, 2021), 5-12, https://www.oecd.org/dac/evaluation/revised-evaluation-criteria-dec-2021.pdf

منتصف المدة وتقييماً نهائياً في نهاية فترة الاستراتيجية. هذه التقييمات يجب أن تتجاوز مجرد قياس الإنجازات لتشمل تقييم كفاءة استخدام الموارد، وفعالية الأساليب المُتبعة، ومدى استدامة النتائج، وأثر الاستراتيجية على الفئات المختلفة، خاصة الأكثر فقراً وتهميشاً. في عالم اليوم المعقد، يجب أن تكون هذه الآليات مرنة وقادرة على التكيف؛ فالتقييم ليس غاية في حد ذاته، بل أداة للتعلم والتعديل المستمر للاستراتيجية في ضوء التغذية الراجعة والتغيرات الطارئة في السياق.[31]

الجزء الخامس: التطبيق العملي: تصميم خطة تنموية قطاعية (قطاع الصحة نموذجاً)

لتوضيح الخطوات السابقة، دعنا نطبقها على تصميم خطة تنموية لقطاع الصحة في منطقة محددة (محافظة أو إقليم). لنفترض أن التشخيص السياقي أظهر ارتفاعاً في معدلات الأمراض غير السارية (كالسكري وضغط الدم)، وضعفاً في خدمات الرعاية الصحية الأولية، ونقصاً في الوعي الصحي لدى السكان.

- الرؤية" :أن تكون منطقتنا نموذجاً للصحة والرفاهية، حيث يتمتع جميع سكانها بحياة منتجة وصحية في بيئة داعمة".
- الأهداف الاستراتيجية الذكية (عينة':

1. الهدف 1 :خفض معدل انتشار السكري بين البالغين (30 سنة فما فوق) في المنطقة من 18% (نسبة الأساس 2023) إلى 12% بحلول نهاية عام 2030.
    - المؤشرات :نسبة انتشار السكري (مسح صحي)، عدد حالات المضاعفات الخطيرة للسكري المسجلة في المستشفيات.
2. الهدف 2 :زيادة نسبة السكان الذين يحصلون على خدمات صحية أولية شاملة ضمن نطاق 5 كيلومترات من سكناهم من 65% إلى 90% بحلول عام 2028.
    - المؤشرات :عدد المراكز الصحية المُحسَّنة أو المُنشأة، نسبة السكان المغطى بهذه المراكز (نظام المعلومات الجغرافية.(GIS
3. الهدف 3 :رفع مستوى المعرفة بالعادات الصحية السليمة (التغذية، النشاط البدني) بين طلاب المدارس الثانوية بنسبة 40% (قياساً بدرجة أساسية من استبيان) بحلول عام 2027.
    - المؤشرات :نتائج استبيانات المعرفة قبل وبعد برامج التوعية، عدد المدارس المنفذة لبرامج التربية الصحية.

- الأنشطة الرئيسية :تشمل بناء وتجهيز 10 مراكز صحية جديدة، تدريب 200 من مقدمي الرعاية الصحية على برامج الوقاية، إطلاق حملة إعلامية وتوعوية مجتمعية، إدماج منهج التربية الصحية في المدارس، إنشاء نظام معلوماتي لتسجيل ومتابعة مرضى الأمراض المزمنة.
- آليات المتابعة :تشكيل لجنة توجيهية عليا برئاسة محافظ المنطقة تضم ممثلين عن وزارة الصحة، التعليم، الشباب، والقطاع الخاص. يجتمعون ربع سنوياً لمراجعة تقارير المتابعة المقدمة من وحدة إدارة المشروع. تجمع البيانات من خلال النظام الصحي الإلكتروني، ومسوحات عينة دورية،

---

[31] Michael Quinn Patton, *Utilization-Focused Evaluation*, 5th ed. (Thousand Oaks, CA: SAGE Publications, 2020), 45-70.

واستبيانات في المدارس. يُجرى تقييم منتصف المدة في عام 2026 لتقييم التقدم وإعادة توجيه الجهود إذا لزم الأمر.[32]

الجزء السادس: التحديات والعقبات المتوقعة في التصميم والتنفيذ

إن تصميم استراتيجية على الورق، مهما كان متقناً، يظل عرضة لتحديات جسيمة عند محاولة تنفيذه على أرض الواقع. أول هذه التحديات هو التحدي السياسي والمؤسسي .قد تواجه الاستراتيجية مقاومة من بيروقراطيات قائمة تحافظ على مصالحها، أو من نخب محلية تستفيد من الوضع القائم. كما أن التغيرات في القيادات السياسية المحلية أو الوطنية قد تؤدي إلى إهمال الخطط السابقة لصالح أولويات جديدة. ثانياً، التحدي المالي :عدم كفاية التمويل، أو عدم استدامته (كالاعتماد على منح خارجية مؤقتة)، أو سوء توزيعه، يمكن أن يعطل تنفيذ الأنشطة الأكثر أهمية. ثالثاً، التحدي التقني والمهني :نقص الكوادر المؤهلة لجمع البيانات وتحليلها، أو لتنفيذ برامج متخصصة (كترشيد الطاقة أو الزراعة المستدامة)، يُضعف قدرة الجهات المنفذة.[33]

رابعاً، تحدي المشاركة المجتمعية الحقيقية :قد يتحول إشراك المجتمع إلى مجرد شكليات لإضفاء الشرعية على قرارات مُسبقة، دون أخذ آرائه بجدية، مما يفقد الاستراتيجية دعمها الأساسي. خامساً، التحدي الخارجي أو السياقي :قد تُفرض أزمات غير متوقعة، كجائحة عالمية (كوفيد-19)، أو نزاع مسلح في المنطقة، أو كوارث مناخية (فيضانات، جفاف)، أو أزمات اقتصادية عالمية، تؤدي إلى إعادة توجيه جميع الموارد والاهتمامات، وتعطيل الجدول الزمني للاستراتيجية بالكامل. هذه التحديات ليست مبرراً للتخلي عن التخطيط، بل يجب على مصمم الاستراتيجية الناجح أن يتوقعها ويضمن في تصميمه مرونة كافية وخططاً بديلة (Contingency Plans) للتعامل معها عند ظهورها. إن القدرة على التكيف مع الصدمات هي سمة أساسية لأي استراتيجية تنموية مستدامة في عالم مليء بالمفاجآت[34]

الجزء السابع: دور العلاقات الدولية والشبكات العالمية في دعم الاستراتيجيات المحلية

في عالم مترابط، لا تعمل الاستراتيجيات التنموية المحلية في فراغ. هنا تبرز أهمية منظور العلاقات الدولية. فالشبكات العالمية يمكن أن تكون داعماً حاسماً لنجاح الاستراتيجيات المحلية. أولاً، توفر المنظمات الدولية)مثل الأمم المتحدة، البنك الدولي، منظمة الصحة العالمية) أطراً معيارية (كأهداف التنمية المستدامة)، ومعرفة فنية، وبيانات مقارنة، وأحياناً تمويلاً. الاستناد إلى معاييرها يمنح الاستراتيجية مصداقية عالمية ويسهل انسياب المساعدات. ثانياً، يمكن للتعاون الجنوب-جنوب وتبادل الخبرات بين دول لها ظروف متشابهة أن يكون أكثر فائدة من النماذج الجاهزة للدول المتقدمة. ثالثاً، تلعب الشبكات عبر

---

[32] World Health Organization, *Integrated People-Centred Health Services: A Framework for Action* (Geneva: WHO, 2016), 10-25, https://apps.who.int/iris/handle/10665/180984.

[33] Francis Fukuyama, *Political Order and Political Decay: From the Industrial Revolution to the Globalization of Democracy* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2014), 40-65.

[34] Dani Rodrik, *Straight Talk on Trade: Ideas for a Sane World Economy* (Princeton: Princeton University Press, 2018), 120-145.

الوطنية للمجتمع المدني (كمنظمات حقوق الإنسان، الشبكات البيئية، المنظمات الخيرية الدولية) دوراً في الرصد والدعوة ونقل الممارسات الجيدة.[35]

مع ذلك، فإن هذا التأثير الدولي ليس إيجابياً بالضرورة. فقد تفرض الجهات المانحة أجنداتها الخاصة، أو تركز على مشاريع ظاهرية سريعة الأثر على حساب الأولويات المحلية طويلة الأمد. كما أن الاشتراطات المصاحبة للقروض أو المنح قد تقيد الخيارات المحلية. لذلك، على مصمم الاستراتيجية أن يتحلى بوعي نقدي: كيف يمكن الاستفادة من الموارد والمعرفة الدولية مع الحفاظ على الملكية المحلية للاستراتيجية وضمان تلاؤمها مع السياق والثقافة المحليين؟ إن المهارة تكمن في توظيف العلاقات الخارجية كداعم للرؤية المحلية، وليس كبديل عنها، والتفاوض من موقع قوة مبني على تشخيص دقيق واحتياجات واضحة[36].

الخاتمة: نحو جيل جديد من مخططي التنمية: التكامل بين المحلي والعالمي

إن تصميم استراتيجية تنموية مجتمعية أو قطاعية، كما هو مطلوب في هذا النشاط التعليمي، يمثل أكثر من مجرد واجب أكاديمي. إنه تدريب عملي على مواجهة أحد أكثر التحديات إلحاحاً في عصرنا: كيفية تحقيق تقدم حقيقي ومستدام لجميع الناس في كوكب محدود الموارد ومليء بالاضطرابات. لقد أوضحنا أن هذه العملية تبدأ بتشخيص شامل يأخذ في الاعتبار الديناميكيات الداخلية والخارجية، وتستمر بصياغة رؤية وأهداف ذكية قابلة للقياس، وتتوج ببناء نظام قوي للمتابعة والتقييم قادر على التعلم والتكيف. ولكن الأهم من ذلك كله، أن هذا النشاط يؤكد على ضرورة التكامل بين المستويين المحلي والعالمي. فمخطط التنمية الناجح في القرن الحادي والعشرين هو الذي يفهم لغة وقواعد النظام الدولي (من أهداف التنمية المستدامة إلى اتفاقيات المناخ)، ويستطيع ترجمتها إلى سياسات ومشاريع ملموسة على أرض وطنه، مع إشراك مجتمعه المحلي في كل خطوة.

إن تعقيد المهمة لا ينبغي أن يكون مُثبِّطاً، بل محفزاً للإبداع والابتكار. الطلاب الذين يخوضون هذا التمرين اليوم، هم القادة السياسيون، والوزراء، ورؤساء البلديات، ومديرو المنظمات غير الحكومية في الغد. غرس منهجية التفكير الاستراتيجي الشامل والمستدام لديهم هو استثمار في مستقبل أكثر إنصافاً ومرونة. لن تكون الاستراتيجيات المثالية، ولكن وجود خطة واضحة، قابلة للقياس، ومرنة، مع إرادة سياسية ومجتمعية لتنفيذها، هو أفضل أمل لنا في معالجة الفقر، وعدم المساواة، وتدهور البيئة، وبناء مجتمعات تتمتع بالرفاهية والكرامة للجميع.[37]

عنوان المقالة: "النماذج النظرية في العلاقات الدولية: صراع التقليد والحداثة من أجل تفسير النظام العالمي"

تُشكّل النماذج والنظريات في حقل العلاقات الدولية عدساتٍ تحليليةً ننظر من خلالها إلى تعقيدات النظام العالمي، فتنظم الفوضى الظاهرة وتقدم تفسيراتٍ للأحداث وللسلوكيات وللعلاقات بين الفاعلين الدوليين. على مدار القرن الماضي تقريباً، سيطرت نظرياتٌ تقليدية، كمدرسة الواقعية السياسية بفرعيها الكلاسيكي والجديد، والنظرية الليبرالية المؤسساتية، على الخطاب الأكاديمي، مقدمةً تفسيراتٍ مركزية لدور الدولة والقوة والمصلحة الوطنية في صناعة السياسة الخارجية. ولكن، ومع التحولات الجيوسياسية والتكنولوجية والاجتماعية والبيئية المتسارعة منذ نهاية الحرب الباردة، برزت نماذج حديثة تتحدى هذه الهيمنة التقليدية.

---

[35] Thomas G. Weiss and Rorden Wilkinson, eds., *International Organization and Global Governance*, 3rd ed. (London: Routledge, 2023), 510-528.

[36] William Easterly, *The Tyranny of Experts: Economists, Dictators, and the Forgotten Rights of the Poor* (New York: Basic Books, 2014), 85-110.

[37] Amartya Sen, *Development as Freedom* (New York: Anchor Books, 1999), 35-55.

هذه النماذج – مثل نموذج التنمية المستدامة، والنموذج الاجتماعي البنائي، والنظريات النقدية ومابعد الاستعمارية، والنظرية النسوية – تدفع بأجندة بحثية توسع دائرة الاهتمام لتشمل قضايا الهوية، والمعنى، والعدالة الاجتماعية، والمساواة بين الجنسين، والبيئة، والأمن الإنساني. تُقدم هذه المقالة مناقشةً نقدية متعمقة لهذا الصراع الفكري، وتحليلًا للحجج الأساسية التي يقدمها كل فريق، مدعومةً بأدلةٍ ومراجعَ حديثةٍ من المجلات والكتب الأكاديمية والمواقع الرسمية، وذلك في محاكاةٍ لمناظرةٍ صفية بين المدافعين عن النموذج النظري التقليدي وأنصار النماذج الحديثة)[38] .

الفقرة الأولى: أسس النموذج النظري التقليدي – الواقعية والليبرالية

يدافع الفريق الأول، ممثلو النموذج النظري التقليدي، عن فاعلية وقوة الإطار التحليلي الذي تأسس في أعقاب الحربين العالميتين. تقوم الحجة المركزية للواقعية، باختلاف تفرعاتها، على افتراض أن النظام الدولي هو نظام فوضوي (Anarchy) بمعنى غياب سلطة مركزية عليا قادرة على فرض القانون، مما يجعل الدول، باعتبارها الفاعل الرئيسي والوحيد ذا السيادة، في حالة تنافس دائم من أجل البقاء والسلطة. تُعرّف الواقعية السياسة الدولية بأنها صراع من أجل القوة، حيث تكون المصلحة الوطنية، المحددة أساساً من خلال القوة العسكرية والاقتصادية، هي الموجه الأوحد للسلوك. يرى كينيث والتز، في عمله المؤسس "نظرية السياسة الدولية"، أن بنية النظام الدولي، وتوزيع القدرات (القوة) فيه، هي التي تحدد سلوك الدول بشكل كبير، مما يدفعها لاتباع سياسات الموازنة (Balancing) أو التبعية (Bandwagoning) لضمان أمنها في ظل هذه الفوضى .(Waltz, Kenneth N. *Theory of International Politics*. Reading, MA: Addison-Wesley, 1979, 102-128.) أما الليبرالية المؤسساتية، وهي الأخرى ضمن التيار التقليدي الرئيسي، فتشترك مع الواقعية في قبول فكرة الفوضى كسمة للنظام الدولي، لكنها تختلف جذرياً في الاستنتاج. تؤكد الليبرالية، كما يوضح روبرت كيوهان وجوزيف ناي في نظريتهما حول "الاعتماد المتبادل المعقد"، أن التفاعل الدولي لا يقتصر على المجال العسكري-الأمني (High Politics)، بل يمتد إلى مجالات اقتصادية واجتماعية وبيئية (Low Politics) حيث تتشابك المصاعد بشكل معقد. هذا الاعتماد المتبادل، بالإضافة إلى دور المؤسسات الدولية (كالأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية)، يخلق حوافز للتعاون ويُكلف الصراع، ويوفر آليات لتقليل عدم اليقين وبناء الثقة بين الدول، مما يحد من آثار الفوضى ويجعل التعاون خياراً عقلانياً ومربحاً حتى في ظل غياب حكومة عالمية .(Keohane, Robert O., and Joseph S. Nye. *Power and Interdependence: World Politics in Transition*. Boston: Little, Brown, 1977, 23-37.) وهكذا، يرى المدافعون عن النموذج التقليدي أن هذه النظريات، رغم اختلافها، تقدم أدوات تحليلية قوية ومرنة وقادرة على تفسير السلوك الدولي في القضايا الجوهرية المتعلقة بالأمن والصراع والتعاون الاقتصادي، وأنها تتعامل مع العالم كما هو، لا كما نتمنى أن يكون.

---

[38] Walt, Stephen M. "International Relations: One World, Many Theories." *Foreign Policy*, no. 110 (Spring 1998): 29–46.)

الفقرة الثانية: تحديات النماذج الحديثة – توسيع دائرة الفاعلين والأجندة

يبدأ الفريق الثاني، أنصار النماذج الحديثة، هجومه النقدي بتحدي الافتراضات الأنطولوجية (ما هو موجود) والإبستيمولوجية (كيف نعرفه) للنموذج التقليدي. أولاً، يرفض النموذج الاجتماعي البنائي (Social Constructivism)، الذي يُعد أحد أهم التحديات الحديثة، الادعاء بأن الفوضى أو المصلحة المادية حقائق موضوعية ثابتة. على العكس، كما يجادل ألكسندر وندت في مقاله الثوري "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، فإن بنية النظام الدولي هي بنية من الأفكار والمعايير المشتركة والهويات، وليس فقط من التوزيع المادي للقوة. فالفوضى لا تدفع الدول تلقائياً للصراع؛ بل إن الثقافات والممارسات والمعتقدات المشتركة هي التي تعطي معنى لهذه الفوضى وتحدد كيفية استجابة الدول لها. فالهوية (ماذا نعتبر أنفسنا) تُحدد المصلحة، وليست المصلحة هي المُحددة سلفاً بناءً على الموقع في النظام [39].

ثانياً، تتحدى النظرية النسوية في العلاقات الدولية التمركز الذكوري (Androcentrism) للنظريات التقليدية، والتي تتجاهل خبرات المرأة وتحلل السياسة الدولية من منظور ذكوري بحت. تنتقد سينثيا إنلو في كتابها "الرجال، الدولة، والحرب: منظور نسوي" كيف أن مفاهيم مثل "الأمن القومي" و"القوة" و"العقلانية" قد تم تعريفها بطريقة تستبعد النساء وتقلل من شأن القضايا المرتبطة بهن. تدعو النسويات إلى إعادة تعريف الأمن ليشمل الأمن الإنساني والجسدي للنساء من العنف المنزلي والجنسي في النزاعات، وإلى إدخال منظور النوع الاجتماعي (الجندر) في تحليل السياسات الاقتصادية والبيئية[40] .

ثالثاً، يأتي نموذج التنمية المستدامة ليضرب بعمق الفصل التقليدي بين "السياسة العليا" و"السياسة الدنيا". لا يقتصر هذا النموذج على كونه سياسة بيئية، بل هو إطار نظري يحاول إعادة تعريف مفاهيم التنمية والأمن والرفاه. فهو يجادل بأن النظريات التقليدية، بتركيزها على النمو الاقتصادي اللانهائي والتنافس الجيوسياسي، تتجاهل الحدود البيئية للكوكب وتبعات عدم المساواة الاجتماعية. تقرير الأمم المتحدة الشهير "مستقبلنا المشترك" (1987) ثم أجندة 2030 وأهداف التنمية المستدامة (2015) تطرح رؤية متكاملة تربط بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وتؤكد على فكرة "الأمن البشري" وعدالة الأجيال، مما يتعارض مع النظرة الضيقة للأمن القومي والسيادة المطلقة للدولة التي تتبناها الواقعية[41] .هذه النماذج الحديثة، مجتمعة، تُوسع دائرة الفاعلين لتشمل المنظمات غير الحكومية، والشبكات العابرة للحدود، والمجتمعات المحلية، والأفراد، وتوسع الأجندة البحثية لتشمل الهوية، والثقافة، والنوع الاجتماعي، والبيئة، والعدالة.

الفقرة الثالثة: دفاع التقليديين – الواقعية الجديدة ومرونة الليبرالية المؤسساتية

يرد المدافعون عن النموذج التقليدي بأن النماذج الحديثة، رغم جاذبيتها الأخلاقية أو الفلسفية، تفتقر إلى القوة التفسيرية والتنبؤية في مواجهة الوقائع الصلبة للسياسة العالمية. ففي مواجهة البنائية، يؤكد الواقعيون الجدد مثل جون ميرشايمر أن الهويات والمعايير هي في أحسن الأحوال متغيرات تابعة، بينما تبقى المنافسة على القوة في ظل الفوضى هي القانون الحاكم. ويستشهدون بسلوكيات القوى العظمى – من سباق التسلح أثناء الحرب الباردة إلى التنافس الاستراتيجي الحالي بين الولايات المتحدة والصين في بحر الصين الجنوبي وتايوان – كدليل على أن منطق الموازنة والهيمنة يظل سائداً. فالصين، رغم خطابها عن "الحلم الصيني"

---

[39] (Wendt, Alexander. "Anarchy is What States Make of It: The Social Construction of Power Politics." *International Organization* 46, no. 2 (Spring 1992): 391-425.)

[40] (Enloe, Cynthia. *Bananas, Beaches and Bases: Making Feminist Sense of International Politics*. 2nd ed. Berkeley: University of California Press, 2014, 7-15.)

[41] (United Nations General Assembly. *Transforming our world: the 2030 Agenda for Sustainable Development*. A/RES/70/1, 21 October 2015.)

السلمي و"مجتمع المصير المشترك للبشرية"، تستثمر بقوة في تحديث قواتها العسكرية وتوسيع نفوذها الإقليمي، وهو ما يفسره الواقعيون كلعبة قوى كلاسيكية وليس تحولاً في الهوية[42] .أما بالنسبة لادعاءات الليبرالية، فيعترف الواقعيون بدور المؤسسات، لكنهم يرونها أدوات في خدمة مصالح القوى العظمى، وليست قيوداً حقيقية على سيادتها. فانسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية باريس للمناخ ومجلس حقوق الإنسان الأممي خلال إدارة ترامب، وتجاوزها لمجلس الأمن في غزو العراق عام 2003، يظهران حدود قوة المؤسسات والقواعد الدولية عندما تتعارض مع ما تراه الدولة القوية مصلحة وطنية عليا[43] .وفي الرد على نموذج التنمية المستدامة، يشير التقليديون إلى فشل المجتمع الدولي مراراً في الوفاء بالتزاماته البيئية (كما في مؤتمرات المناخ (COP أو في معالجة الفجوة بين الشمال والجنوب بشكل جذري، ويعزون ذلك إلى غياب سلطة تنفيذية عالمية وفشل منطق التعاون الاختياري في ظل الفوضى عندما تكون التكاليف المادية للحلول مرتفعة. فهم يرون أن قضايا مثل تغير المناخ ستتحول بالضرورة إلى ساحة جديدة للتنافس الجيوسياسي والصراع على الموارد، وليس مجالاً للتعاون العالمي المثالي[44] .

الفقرة الرابعة: هجوم الحداثيين – فجوات التفسير التقليدي وإسقاطاته الخطيرة

يعزز أنصار النماذج الحديثة هجومهم بالإشارة إلى فجوات كبيرة في القدرة التفسيرية للنموذج التقليدي وإلى الإسقاطات الخطيرة المترتبة على تبني رؤيته للعالم. أولاً، تفشل النظريات التقليدية في تفسير تحولات كبرى مثل نهاية الحرب الباردة بشكل مقنع. فالواقعية، التي ترى الاستقرار ناتجاً عن توازن القوى، لم تستطع توقع أو تفسير الانهيار السلمي للاتحاد السوفيتي دون حرب، وهو حدث غير البنية الدولية ذاتها. هنا، تقدم البنائية تفسيراً أفضل من خلال دور الأفكار (مثل "البيthinking سترويكا" و"المنزل الأوروبي المشترك" لدى غورباتشوف) والمعايير المتغيرة لحقوق الإنسان [45].

ثانياً، ينتقد النموذج الاجتماعي والنظريات النقدية النزعة "الوضعية (Positivism) "للنموذج التقليدي، أي إيمانه بإمكانية دراسة العلاقات الدولية كعلم موضوعي شبيه بالعلوم الطبيعية. ويجادلون بأن النظرية ليست محايدة، بل هي "نظرية من أجل" شيء ما (مثل نظرية من أجل التحرر، أو من أجل الحفاظ على الوضع القائم). فالواقعية، بتركيزها على الدولة والقوة، تخدم في النهاية إضفاء الشرعية على سياسات الهيمنة وتبرير سباقات التسلح، وتهمش صوت الضعفاء والمستعمرين سابقاً[46] .

ثالثاً، تظهر حدود النموذج التقليدي بشكل صارخ في مواجهة التحديات العابرة للحدود غير الحكومية. فظاهرة الإرهاب العابر للحدود (مثل تنظيم القاعدة أو داعش) لا يمكن فهم جذورها وديناميكياتها من خلال عدسة المصلحة الوطنية للدولة فقط، بل تتطلب فهمًا للهويات الدينية-السياسية، والاغتراب الاجتماعي،

---

[42] (Mearsheimer, John J. *The Tragedy of Great Power Politics*. Updated ed. New York: W. W. Norton & Company, 2014, 360-402.)

[43] (Krasner, Stephen D. *Sovereignty: Organized Hypocrisy*. Princeton: Princeton University Press, 1999, 220-250.)

[44] (Dannreuther, Roland. *International Security: The Contemporary Agenda*. 2nd ed. Cambridge: Polity Press, 2013, 205-230.)

[45] (Koslowski, Rey, and Friedrich V. Kratochwil. "Understanding Change in International Politics: The Soviet Empire's Demise and the International System." *International Organization* 48, no. 2 (Spring 1994): 215–247.)

[46] (Cox, Robert W. "Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory." *Millennium: Journal of International Studies* 10, no. 2 (1981): 126–155.)

ودور الفضاء الإلكتروني في التجنيد. كما أن الأوبئة العالمية، مثل جائحة كوفيد-19، كشفت عن فشل النموذج القائم على الدولة القومية في التنسيق الفعال، وأبرزت الحاجة الماسة لمنظور تعاوني عالمي يركز على الصحة العامة كأمن إنساني، وهو ما تروج له نماذج مثل التنمية المستدامة[47] .

الفقرة الخامسة: حوار أم قطيعة؟ إمكانيات التكامل والصراع المستمر

تدفع المناظرة نحو سؤال جوهري: هل العلاقة بين النماذج التقليدية والحديثة هي علاقة حوار وتكامل أم قطيعة وانفصال؟ يرى بعض العلماء إمكانية لـ "التوليف" أو التكامل الانتقائي. فمثلاً، يمكن استخدام الإطار الواقعي لتحليل القيود البنيوية (مثل صعود الصين) التي تواجه التعاون الدولي في قضايا مثل المناخ، بينما يستعان بالنظريات البنائية لفهم كيف يمكن بناء معايير ومؤسسات جديدة (مثل مبدأ "المسؤولية المشتركة لكن المتباينة" في مفاوضات المناخ) لتشجيع التعاون رغم الفوضى[48] .كما أن مفهوم "الليبرالية المُحاَزّة " (Embedded Liberalism)الذي صاغه جون جيرارد روجي، يوضح كيف أن النظام الاقتصادي الليبرالي ما بعد الحرب تم تصميمه داخل سياق من المعايير والقيم الاجتماعية المحلية، مما يدمج بين الاعتبارات الاقتصادية (التقليدية) والاجتماعية (الحديثة [49]" .(Ruggie, John Gerard) .(ومع ذلك، يصر كثير من أنصار النماذج الحديثة، وخاصة تلك ذات الطابع النقدي أو مابعد الاستعماري، على أن التكامل مستحيل لأن الفروق أنطولوجية وإبستيمولوجية عميقة. فالنظرية النسوية أو مابعد الاستعمارية لا تهدف فقط لإضافة "متغير المرأة" أو "متغير الجنوب" إلى النماذج القائمة، بل تسعى لإعادة بناء النظرية من أساسها لتفكيك هياكل السلطة المعرفية والهيمنة الغربية المدمجة في النظريات التقليدية نفسها. فالواقعية، في نظرهم، ليست مجرد نظرية محايدة، بل هي منتج ثقافي وتاريخي لسياق غربي محدد (الدولة القومية الأوروبية ونظام ويستفاليا) تم تعميمه على العالم بأسره[50]

الفقرة السادسة: دراسة حالة: أزمة المناخ بين المنافسة الجيوسياسية والتعاون العالمي

تُجسد أزمة تغير المناخ ساحة المعركة الفكرية هذه بشكل مثالي. من المنظور التقليدي الواقعي، تُعد المنافسة على الطاقة والموارد والتقنيات الخضراء امتداداً للتنافس الجيوسياسي. فالدول تتفاوض في إطار مؤتمرات الأمم المتحدة للمناخ (COP) مدفوعة بالمصلحة الوطنية المادية المباشرة: التكاليف الاقتصادية للتخفيف مقابل الفوائد الاقتصادية للتكيف، والخوف من فقدان الميزة التنافسية، واستخدام الدبلوماسية المناخية كأداة نفوذ. يتجلى هذا في استراتيجية الصين التي تجمع بين دعم اتفاقية باريس (لتحسين صورتها الدولية وقيادتها للعالم النامي) والاستثمار الضخم في مشاريع الفحم محلياً وفي دول طريق الحزام والطريق لتحقيق أمن الطاقة والنمو[51] .كما أن رفض الدول المتقدمة الوفاء بتعهداتها المالية (100 مليار دولار سنوياً) لمساعدة الدول النامية، يفسره الواقعيون على أنه انعكاس لأولويات الميزانية الداخلية والمصلحة الوطنية الضيقة في

---

[47] (World Health Organization. "COVID-19 shows why united action is needed for more robust international health architecture." WHO Newsroom, March 30, 2021. https://www.who.int/news-room/commentaries/detail/covid-19-shows-why-united-action-is-needed-for-more-robust-international-health-architecture.)

[48] (Keohane, Robert O., and David G. Victor. "The Regime Complex for Climate Change." *Perspectives on Politics* 9, no. 1 (March 2011): 7–23.)

[49] International Regimes, Transactions, and Change: Embedded Liberalism in the Postwar Economic Order." *International Organization* 36, no. 2 (Spring 1982): 379–415.)

[50] . (Tickner, J. Ann, and David L. Blaney, eds. *Claiming the International*. New York: Routledge, 2013, 1-20.)

[51] (Chen, Gang. "China's Climate-Energy Policy: A Fragmented Hydra." In *Handbook of Energy Politics*, edited by Jennifer I. Considine and Keun-Wook Paik, 337-361. Cheltenham: Edward Elgar Publishing, 2018.)

ظل غياب سلطة إلزامية. أما الليبراليون المؤسساتيون فيركزون على دور المؤسسات والمعاهدات (كفريق العمل المعني بالتمويل المناخي، وآليات سوق الكربون في المادة 6 من اتفاقية باريس) في خلق شفافية وبناء ثقة، حتى لو كانت التقدم بطيئاً[52] .من جهة أخرى، يقدم نموذج التنمية المستدامة رؤية مغايرة تماماً، حيث يصبح التصدي للمناخ مسألة عدالة بين الأجيال وبين الشمال والجنوب. فهو يربط بين الانبعاثات التاريخية للدول الصناعية ومسؤوليتها الأخلاقية، وبين الحق في التنمية للدول الفقيرة. هذا المنظور الأخلاقي والعادل هو ما يدفع حركات المجتمع المدني العالمية وشبكات المدن والمناطق والشركات العابرة للحدود – وهي فاعلين يهمشهم النموذج التقليدي – للضغط على الحكومات واتخاذ إجراءات مباشرة[53] .أما النظرية النسوية فتحلل كيف أن آثار تغير المناخ ليست محايدة جندرياً، حيث تتحمل النساء العبء الأكبر في المجتمعات الريفية بسبب أدوارهن في تأمين الماء والغذاء، وتدعو إلى سياسات مناخية تراعي الفروق بين الجنسين . UN[54])تُظهر هذه الحالة أن النموذج التقليدي يلتقط جانباً مهماً من الديناميكية (التنافس الجيوسياسي)، ولكنه يعجز عن فهم وتعريف الحلول الممكنة التي تتطلب تحولاً في القيم والهويات ونطاق الفاعلية يتجاوز الدولة.

الفقرة السابعة: التطورات المعاصرة: العولمة الرجعية، والشعبوية، والتكنولوجيا

تعيد التطورات العالمية في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين إشعال الجدل بين النماذج. فصعود الشعبوية القومية و"العولمة الرجعية" (كما في خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، والسياسات الحمائية لإدارة ترامب) يبدو وكأنه تأكيد لنبوءات الواقعية عن عودة الدولة القومية والصراع على الهوية. يشير ستيفن والت إلى أن "نظرية الواقعية السياسية تعود بقوة" في عالم تتزايد فيه المنافسة بين القوى العظمى وتتراجع فيه المؤسسات الليبرالية[55] .لكن أنصار النماذج الحديثة يردون بأن هذه الظاهرة ذاتها لا يمكن فهمها بعيداً عن البنائيات الاجتماعية: فهي رد فعل على هويات مهددة ومعايير ليبرالية عالمية تم رفضها من قبل شرائح معينة داخل المجتمعات (الهويات المحلية ضد النخب العالمية)، وليست مجرد حسابات مادية للقوة[56] .كما أن الثورة التكنولوجية، خاصة في مجال الذكاء الاصطناعي والأمن السيبراني، تطرح تحديات جديدة. يراها التقليديون كمجال جديد للسباق الاستراتيجي بين الدول (مثل التنافس الأمريكي-الصيني في الذكاء الاصطناعي) وتهديداً للأمن القومي. بينما يرى الحداثيون أن طبيعة هذه التقنيات العابرة للحدود، وتأثيرها على الخصوصية والحقوق الرقمية للأفراد، والمخاطر الوجودية المشتركة الناتجة عنها، تتطلب حوكمة عالمية جديدة ومقاربة تركز على الأمن الإنساني والعدالة الرقمية، وهو ما يتجاوز الإطار الواقعي الضيق (Bremmer, Ian. *The Technopolar Moment: How Digital Powers Will Reshape the Global Order*. New York: Foreign Affairs, 2021[57]) .

---

[52] (Falkner, Robert. "The Paris Agreement and the New Logic of International Climate Politics." *International Affairs* 92, no. 5 (September 2016): 1107–1125.)

[53] (Biermann, Frank, et al. "Global governance for sustainable development: a framework for goal-setting, orchestrating, and monitoring." *Earth System Governance* 7 (2021): 1-12.)

[54] Women. "Explainer: How gender inequality and climate change are interconnected." UN Women, February 28, 2022. https://www.unwomen.org/en/news-stories/explainer/2022/02/explainer-how-gender-inequality-and-climate-change-are-interconnected.)

[55] (Walt, Stephen M. "The End of the American Era." *Foreign Policy*, October 15, 2021. https://foreignpolicy.com/2021/10/15/end-of-american-era-united-states-decline-multipolar-world/.)

[56] (Zarakol, Ayşe. "Behind the Waves of Backlash: The Rising Costs of Liberal Internationalism." *Perspectives on Politics* 19, no. 1 (March 2021): 4-24.)

[57] Bremmer, Ian. *The Technopolar Moment: How Digital Powers Will Reshape the Global Order*.

2021. https://www.foreignaffairs.com/articles/world/2021-10-19/technopolar-moment.)

الفقرة الثامنة: تقييم النماذج في فهم النظام العالمي المعاصر

في التقييم النهائي، لا توجد نظرية واحدة قادرة على احتكار الحقيقة في حقل معقد كالعلاقات الدولية. يظل للنموذج التقليدي، بتركيزه على الدولة والقوة والمصلحة في سياق فوضوي، فضل لا يمكن إنكاره في تفسير الاستمرارية في السياسة العالمية: دوافع التوسع والهيمنة، منطق التحالفات والصراعات الإقليمية، حدود التعاون في غياب سلطة قاهرة. إنه يقدم تحذيراً واقعياً من المثالية الساذجة ويبقى ضرورياً لفهم سلوك القوى العظمى وقضايا الأمن التقليدي[58] .لكن قوته هذه تقابلها عماه العميق. فالنماذج الحديثة تنجح في تسليط الضوء على ما يغفله التقليديون: قوة الأفكار والهويات في تشكيل المصالح، وطبيعة القوة المتعددة الأوجه (بما في ذلك القوة الناعمة وقوة المعايير)، والأبعاد الإنسانية والاجتماعية والبيئية للأمن، وأصوات وأدوار الفاعلين من غير الدول. إنها تدفع الحقل نحو أسئلة أخلاقية وسياسية أعمق حول "لمن النظام العالمي؟" و"ما الغرض منه؟". النموذج التقليدي، بقبوله للواقع كما هو، يميل إلى الحفاظ على الوضع القائم للسلطة. بينما النماذج الحديثة، وخاصة النقدية منها، تتحدى هذا الوضع وتسعى لتحريرية أكبر، سواء لصالح المستضعفين دولياً، أو للنساء، أو للطبيعة ذاتها[59] .

الخاتمة

تُشبه المناظرة بين المدافعين عن النماذج التقليدية وأنصار النماذج الحديثة في العلاقات الدولية حواراً دائماً بين العقل والقلب، بين الواقع والمثال، بين الاستمرارية والتغيير. لا يمكن الفصل بينهما بسهولة، لأن فهم العالم المعاصر يتطلب كليهما. فمن يريد تحليل استراتيجية الناتو تجاه روسيا أو التوترات في مضيق تايوان، سيحتاج إلى الأدوات التحليلية الحادة للواقعية والليبرالية. لكن من يريد فهم جذور الإرهاب، أو ديناميكيات حركات المناخ العالمية، أو تأثير الهويات الدينية والثقافية على السياسة الخارجية، أو تصميم سياسات مناخية عادلة، فلن يجد بُداً من الانخراط مع البنائية، والنظرية النسوية، ونموذج التنمية المستدامة. الخطر الحقيقي يكمن في الانغلاق داخل نموذج واحد واعتباره الحقيقة المطلقة. فقوة حقل العلاقات الدولية تكمن في تنافسه النظري الحيوي، الذي يُجبرنا باستمرار على مراجعة افتراضاتنا، وطرح أسئلة جديدة، وإعادة تقييم ما نعتقد أننا نعرفه عن العالم. في نهاية هذه المناظرة الصفية، لا يكون الفائز هو الفريق الذي يثبت تفوق نموذجه، بل الطلاب والأكاديميون وصناع السياسة الذين يدركون أن العدسات المتعددة، مجتمعة، تمنحنا رؤية أوضح وأكثر ثراءً للعالم المعقد الذي نعيش فيه[60] .

---

[58] (Jervis, Robert. "Realism in the Study of World Politics." *International Organization* 52, no. 4 (Autumn 1998): 971–991.)

[59] (Reus-Smit, Christian, and Duncan Snidal, eds. *The Oxford Handbook of International Relations*. Oxford: Oxford University Press, 2008, 3-15.)

[60] (Lake, David A. "Theory is Dead, Long Live Theory: The End of the Great Debates and the Rise of Eclecticism in International Relations." *European Journal of International Relations* 19, no. 3 (September 2013): 567–587.)